لكن اذا أخذنا قصيدة أخرى فاننا سنكتشف ان الرموز الثقافية سوف تنحل داخل علاقة ثنائية مباشرة هي صدى لاطارات الشعر الفلسطيني الاول .

ففي شعر توفيق زياد، يرتفع الرمز الثقافي الشعبي الى أقصى درجاته. فهو يضمن قصيدته دائما ، او في الكثير من الاحيان ، مقاطع من الشعر الشعبي التي تدل على الصمود. لكنه في قصائده يحافظ بشكل واضح على ثنائية الذات والموضوع ، بل انه يترك هذه الثنائية تذهب بعيدا من داخل حرصه على الايقاع الخارجي ، وعلى العلاقة بالجمهور . فتخرج القصائد مفككة ، لكنها تحمل نقطة مركزية يجري عليها التركيز الدائم . ففي قصيدة « من وراء القضبان »(١٢)، وهي قصيدة تحاول الاشارة الى الطموح النضالي الفلسطيني الذي يستحيل الى « نار الكفاح نفسه » :

« ان يحبسونا .. انهم
لن يحبسوا نار الكفاح
لن يحبسوا عزم الشباب الحر
يعصف كالرياح ».

هنا تسقط الدلالات جميعها ، عند هدف واحد ، التحريض . وتصبح القصيدة وموضوعاتها ، وأشكالها المتعددة ، مجرد مداخل للوصول الى هذا الهدف. فالتحريض لا يخرج من داخل معاناة شعرية متكاملة ، يبدأ وكأنه معطى ، ويمتد داخل موضوعات مختلفة دون أن يتلون بها ، الا في الحد الادنى الذي يسمح له بالتقدم .

بحث الفلسطيني في الداخل عن الهوية ، محاولة للوصول الى ردم هوية تاريخية . فأوالية المقاومة الثقافية التي استطاع الشعب الفلسطيني تفجيرها من خلال الشعر ترسم أولى البشارات في مسيرة الدماء التي يخوضها هذا الشعب . لكن الهوية ، لم تكن ضائعة في الداخل فقط ، بل كانت ضائعة في الخارج ، في مخيمات التشريد ، أو هذا ما تريد ان تقوله قصيدة دحبور «الافادة»(١٣) . فالانتماء يتحول وبعد سنوات طويلة من القتال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني الى انتماء من طبيعتين: — انتماء الى الفقراء، وانتماء الى القتال . فهذان الانتماءان ، هما الشكل الجديد للانتماء الفلسطيني . الرمز الثقافي القديم الذي يستعيره شعر الارض المحتلة ، بوصفه عامل توحيد ، يصبح هنا رمزا مستقبليا . الثقافة الجديدة هي ما يجري صنعه على أرض المعركة . لهذا تتقدم قصيدة دحبور في نضجها الفني لتزاوج بين ايقاعين ولتقيم عبر هذه المزاوجة محاولة لتأريخ من طبيعة جديدة . فهي ترسم اطارات الهوية من خلال الواقع الذي يتحرك وتقيم دلالتها على أساس حركته حين « النهر يصير بساطا للفقراء متى يورد » .

ان البحث الفلسطيني عن الهوية ، يأخذ اطاره الاساسي من خلال عالم القرية وثوابت العلاقة بالارض وبأشياء الطبيعة . ففي قصيدة لسميح القاسم « أمطار الدم »(١٤) يعود الوجدان الشعبي الى محاولته الاساسية ، رسم اطارات العلاقة التي لا تتغير ويرفع الشاعر سؤاله « ما لون المطر ؟ » عند هذا التساؤل يعود الى الاشياء حجمها الطبيعي ويصبح البحث عن ثابت العلاقة مقدمة للوصول الى « نهر الفقراء » . أي ان بدايات المقاومة الثقافية ، تمتد هنا ، لتصبح مؤشرات لمقاومة من طبيعة ثانية.

ان الدلالة الاساسية ، التي تخرج منها من خلال قراءة هذا الشعر تتألف من عنصرين :

١ — العنصر الاول هو تزاوج ابعاد القصيدة في محاولة الوصول الى الفعل السياسي المباشر ، من خلال أقنية سلبية في مجملها . هنا يعود هذا الشعر الى الالتقاء